جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2020 – 2021

المستوى: ماستر2 السداسي: الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: مصادر الجزائر في العصر الحديث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: أهمية المصادر في تاريخ الجزائر الحديث

أهمية المصادر في تاريخ الجزائر الحديث

أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني:

"إنه لمن الأمر العسير في الحقيقة الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية دون الاطلاع على ما كتبه الاوروبيون من رحالة وقناصل وجواسيس ورهبان وسياح ومغامرون وأسرى، الذين هم في الجزائر كأجانب ودخلاء على المجتمع الجزائري، حين أقاموا بين أحضانه ردها من الزمن وتركوا انطباعاتهم حول معاينتهم الميدانية أو ما روي لهم ونقلوه عن من اجتمعوا بهم، فأصبحت تسجيلاتهم مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، وقسم كبير من هذه المصادر لا يمكن الاستغناء عنه أبدا ، لاسيما أنهم يعدون في كثير من الأحيان شهداء أعيان، ففي كتب هؤلاء الأوربيين شهادات وأوصاف وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم حكام وتحليلات لحوادث ووقائع تاريخية خطيرة، وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غيرها من هذه الكتب.

أ- ومن الأمثلة عن **الرحالة** نجد:

- رحلة العالم الألماني ج.آو هاسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس سنة 1732، ترجمة ناصر الدين سعيدوني.
- رحلة جون أندري باسيونال إلى الجزائر سنة 1725.
- رحلة توماس شو الطبيب الإنجليزي 1720 -1732.

ب-ومن أمثلة **القناصل** نذكر:

- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 -1824)، ترجمة إسماعيل العربي.
- جيمس ليندر كاثكارت: مذكرات أسير الداي وقنصل أمريكا في الجزائر 1785.
- فونتير دي بارادي، الجزائر في القرن 18 م.
- فيليب سيزار فاليار، الجزائر سنة 1781.

ج- ومن أمثلة **الجواسيس**:

- الجاسوس بوتان : استطلاع المدن.

د- ومن أمثلة **الرهبان**:

- الأب بيير دان، تاريخ بربارية وقراصنتها.
- كامولين فرانسوا وآخرون، رحلة من أجل افتداء الأسرى في الجزائر وتونس 1720.

هـ- ومن أمثلة السياح:

- ليسور وويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر) ترجمة محمد جيجلي.

و- ومن أمثلة الأسرى:

- دييغو دي هايدو، طبوغرافية وتاريخ الجزائر العام (1572-1580).

وما يجب الإشارة إليه في هذا الشأن ما يلي:

يجب الحذر واتخاذ الحيطة عند الاقتباس من هذه المصادر، فكما هو معلوم فإن معظم كتابات الأوربيين عن المسلمين عامة، عن الجزائر بخاصة كانت وفق وجهة نظرهم، وحسب معتقدهم وإنطباعاتهم فيها تحمل الكثير من الزيف والتشويه من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تحمل أيضا العديد من الحقائق عن تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة (العثمانية).

وفي سياق آخر نشير إلى إلزامية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في آن واحد في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، فلقد ظلت المصنفات الأوربية مثل دوفولكس ودي غرامون والوثائق الأجنبية في الأرشيف الأوربي إلى أمد بعيد، السبيل الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وعلى الرغم من وجود الوثائق العثمانية (كتب ووثائق أرشيفية) والمصادر المحلية سواء المكتوبة منها باللغة العربية أو التركية، فإنها كانت غائبة عن الدراسات التاريخية والأثرية التي تتناول هذه الفترة التاريخية المهمة من تاريخ الجزائر، لا سيما من طرف الأوربيين، إذ تمتد هذه الفترة التاريخية لمدة ثلاثة قرون ونيف.

لقد ظل الأمل معلقا على استغلالها لإماطة اللثام عن مجموعة من القضايا التاريخية والحضارية التي ظلت عسيرة الفهم وصعبة التفسير في ضوء الاعتماد الكلي على النصوص الأجنبية، وقد تميز ديفوليكس عن الكتابات الأخرى باستغلاله لعدد هائل من الوثائق العثمانية التي اكتشفها، حيث قام بضبطها ودراستها ونشر العديد منها في مقالات نشرت في مجالات علمية منها المجلة الإفريقية، وعلى هذا الأساس كانت محاولاته الأولى في توظيف المصادر المحلية في تاريخ الجزائر العثمانية. وبالمقابل فإن نرى أن هنري دي غرامون رفض وبشكل قاطع الاعتماد على المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وشكك في مصداقيتها واتهمها بالتجريد والمبالغة وعدم التجرد من الذاتية، ونادى بالاعتماد على كتب الرحلات الأوروبية وأرشيف الدول الأوروبية والمذكرات ومراسلات القناصل وانطباعات الرهبان والجواسيس، وعليه فمعظم كتابات دي غرامون تهدف إلى خدمة الاستعمار.

الأهمية السياسية للمصادر في تاريخ الجزائر الحديث:

تتحدث مصادر تاريخ الجزائر الحديث في الجانب السياسي عن أمور عديدة نوجزها فيما يلي:

- فيها نوعية نظام الحكم الإداري، وما تميز به من تسميات للمراحل والتحولات السياسية وكيفية حدوث تلك التحولات.

- تقدم لنا لمحة عن بعض الشخصيات السياسية لحكام الأيالة والبايليكات.

- فيها أسماء ومهام الموظفين السياسيين والإداريين الذين عرفتهم الجزائر في تلك الفترة.

- تخبرنا بحالة الاستقرار السياسي وحالات عدم الاستقرار أحيانا من الجانب السياسي، وحدوث بعض الثورات والحروب.

- فيها بعض العلاقات السياسية مع دول الجوار (تونس والمغرب)، ومع الدولة العثمانية بين التبعية والانفصال، وأيضا العلاقات مع أوروبا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول العالم.

- تخبرنا عن بعض العادات والبرتوكولات السياسية في الاستقبالات، والتواصل بين الدول.

- قد نعثر في المصادر على بعض القوانين والفرمانات التي تنظم الجانب السياسي سواء داخل الجزائر أو خارجها.

- تخبرنا عن انعقاد الدواوين (الديوان الكبير والديوان الصغير)، ومجريات ذلك والقضايا التي تدرس حينها.

- تخبرنا المصادر عن كيفية إجراء الانتخابات في الديوان بالأغلبية، وحدوث ذلك الصراع بين العديد من السياسيين.

الأهمية العسكرية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:

ونجد في المصادر التاريخية ما يلي:

- تحدثت بالتفصيل عن الحياة العسكرية في الجزائر (الأكل والشرب واللباس ....ونظام الخدمة العسكرية).

- تحدثت المصادر أيضا عن الرتب العسكرية وأهمية كل واحدة منها، ودورها في الجانب العسكري من الجندي البسيط إلى الآغا.

- نجد فيها وصف للثكنات العسكرية والتحصينات الدفاعية من أبراج وقلاع الحراسة، وكل ما من شأنه أن يزيل الستار عن هذا الجانب.

- نجد فيها أنواع السلاح وكيفية استخدامه، وأنواع السفن الحربية وكيفية استعمالها، وصناعة البارود والبنادق وغيرها.

- تخبرنا بسيطرة الجيش الإنكشاري على مجريات الأحداث، والصراعات والنزاعات بين الطائفتين العسكريتين الرياس والإنكشاريين إبان العهد العثماني.

- تقر هذه المصادر بأن المؤسسة العسكرية في الجزائر هي مصدر للمشاكل والقلاقل والاضطرابات.

- تعطينا صورة تكاد تكون واضحة عن مرتبات الإنكشارية، وكيف تقدم لهم خلال شهرين قمريين.

- أفضيلة العسكري الإنكشاري على باقي الطبقات والفئات مهما كان نوعه.

- تبين لنا المصادر علاقة العسكريين بالمدنيين في المجتمع الجزائري بين الفينة وألخرى.

الأهمية الاقتصادية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:

تخبرنا مصادر تاريخ الجزائر الحديث بالمعلومات الاقتصادية في غاية الأهمية منها ما يلي:

- كيفية استخالص الضرائب في قضية الدنوش الصغرى والكبرى.

- زمن خروج المحلات من مدينة الجزائر دار السلطان ومن قسنطينة ووهران والتيطري إلى داخل الجزائر لغرض اقتصادي.

- فيها من النشاط الحرفي وكيفية توزيع الأسواق والحرف في المدن بالتفصيل الدقيق.

- وجود الصناعات التقليدية (الحرفية بكثرة)، خصوصا في المدن الكبرى الجزائر وقسنطينة والمدية ومعسكر ووهران.

- تحدثت عن العملة وأنواعها الذهبية والفضية والنحاس وغيرها وقيمة كل عملة.

- تحدثت المصادر عن أنواع الأراضي المختلفة في الريف وكيفية استغلالها، وحتى في أحواز المدن، أراضي الوقف وأراضي البايلك وغيرها، وفيها أيضا من المعلومات والمعارف عن الجانب الزراعي والصناعي والتجاري ما قد يقرب لنا الصورة الدقيقة للاقتصاد في تلك الفترة.

- تحدثت المصادر عن الصادرات والواردات والميزان التجاري في بعض فترات الحكم العثماني، وكيفية تأثير ذلك على النظام السياسي.

- تحدثت عن المنتوجات الفلاحية وعن الأقاليم المناخية والثروة الحيوانية وحتى المنجمية التي كانت تزخر بها الجزائر في تلك الفترة.

- تحدثت عن أهمية البحر الأبيض المتوسط في إغناء الخزينة العمومية خصوصا في الفترة الأولى من الحكم.

الأهمية الثقافية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:

- تحدثت المصادر عن اللغة المستعملة وأنواعها وكيفية التواصل والتخاطب بين أفراد المجتمع وفئاته في مدينة الجزائر، وفي مدن أخرى، وعن اللغة الفرنسية التي كانت موجودة خصوصا بين الأسرى بكثرة، ناهيك عن وجود اللغة التركية واللغة العربية وباقي اللهجات الأخرى.

- تحدثت المصادر عن بعض العادات والتقاليد في المناسبات مثل الزواج والختان والأفراح وفي مناسبات عديدة.

- تحدثت عن العادات والتقاليد في اللباس والأكل والشرب ونمط التفكير والممتلكات والثروات.

- تحدثت عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ومظاهر الفرح في العيدين وفي رمضان وليلة القدر.

- تحدثت أيضا المصادر عن المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب وكل مؤسسات الحياة الثقافية.

- تحدثت المصادر عن ختم القرآن الكريم وحرص الأولياء على تحفيظه أبنائهم وعادة الاحتفال بختمه.

- تحدثت المصادر عن أنواع الكتب والمخطوطات والعلوم التي كانت تدرس وعلى وجه الخصوص الشرعية (النقلية) مثل: علم الحديث والتفسير وأصول الدين والفقه والنحو وعلم اللغة... - تحدثت المصادر أيضا عن التعايش المذهبي وحرية المعتقد التي كانت معروفة في الجزائر في تلك الحقبة.

- فيها صور ومعلومات ومعارف عن الحياة الثقافية، وكل ما من شأنه أن يوضح أو يسهل معرفة الجانب الثقافي.

- تحدثت المصادر أيضا عن المرأة وزينتها ودورها في الجانب الثقافي.

الأهمية الاجتماعية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:

تحدثت المصادر عن الجانب الاجتماعي في أمور عديدة نذكر منها:

- حديثها عن طبقات المجتمع الجزائري وفئاته وتمايز فئاته.

- تحدثت المصادر عن تهميش العنصر المحلي في تولي المناصب مهما كان نوعها إلا القليل منها.
- تحدثت المصادر على استحواذ الأتراك عن أهم الوظائف والمناصب.
- تحدثت المصادر على سيطرة اليهود عن الجانب التجاري.
- تحدثت المصادر على أفضلية الأحناف عن المالكين.
- تحدثت أيضا عن عدم كثرة سكان الريف وقلة سكان المدن.

أهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث في جوانب أخرى:

ومنها نذكر:

- قضية افتداء الأسرى، وكيفية حدوث ذلك حيث أن مبلغ فداء الأسير يتوقف على مهنته والفئة التي ينتسب إليها.
- تحدثت المصادر عن معاملات الأسرى.
-تحدثت المصادر عن علاقة العلماء بعضهم ببعض وعلاقتهم مع السلطة العثمانية.
- تحدثت المصادر عن الجانب العمراني في المدن من حيث مواد البناء والهندسة والغرف والمطابخ والساحات والمداخن والأروقة والأعمدة وغرف الاستقبال ودور السقيفة.
- تحدثت عن الحمامات والعيون ونوعية المياه داخل المدن وخارجها وعن النظافة بالنسبة للأفراد والعائلات، وحتى كيفية حدوث ذلك في المدن والأحياء.
- يبدو أن الوثائق الأرشيفية بمختلف أنواعها فيها من المعارف والمعلومات المهمة والمفيدة عن تاريخ الجزائر الحديث في شتى مناحي الحياة ألننا قد نجد فيها جانب سياسي ومعلومات اقتصادية وأخبار ثقافية وعسكرية وقضايا اجتماعية ودينية في غاية الدقة.

هناك مصادر تحتوي على معلومات متنوعة ومتفرقة في شتى الجوانب مثال كتاب فليار وكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان وكتاب إفريقيا لمارمول كاربخال، وهناك من المصادر ما نجد فيها معلومات خاصة بجانب معين مثل: بن رقية التلمساني في الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة أو ما كتبه ابن الشاهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1695- 1705)، وهناك من المصادر ما نجد فيها معلومات تخص جانبين أو ثلاثة مثل ما دونه الحسين الورثلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".

أهمية المصدر العلمي:

إن أي وثيقة تاريخية تستوجب علينا معرفة صاحبها أو مؤلفها والعصر أو الفترة التي عاش فيها، وألف فيها هذا المصدر التاريخي أو كتب فيه هذه الوثيقة التاريخية، كما يجب علينا التعرف على موقع هذا المؤلف من الأحداث التي جرت بطرح التساؤل التالي: هل شاهد وعاين المؤلف هذا الحدث التاريخي وعايشه؟ أم فقط سمعه وتناقله من الرواة الذين تحدثوا عنه؟ وهل صاحب هذه الوثيقة كان قريبا من الحدث مكانيا وزمانيا أم كان بعيدا عليه؟.

وإضافة الى ذلك وجب علينا التعرف على بيئة المؤلف ومعارفه وعلومه ونزعته السياسية والدينية والإيديولوجية من خلال معرفة شخصيته المؤلف، لأن كل هذه العوامل تؤدي دورا مهما في صياغته للحدث التاريخي، من حيث فهمه لأحداث وتأثرها بها وما مدى تأثير الظروف والعوامل عليه في الكتابة،

إن عدم تحديدنا لصاحب الكتاب قد لا تفيدنا في فهم ظروف صاحبه ودوافع كتابته لها، ومكان وزمان مؤلفها وقربه وبعده عن الحادثة التاريخية، لكننا نأخذ بما فيها من وقائع وننسبها الى مصدر مجهول.

المراجع:

أيمن عميمور، أهمية المصادر في تاريخ الجزائر الحديث
https://cte.univ-setif2.dz/moodle/mod/page/view.php?i

أيت حبوش حميد، أهمية المصادر الأوربية في كتابة تاريخ الجزائر -العهد العثماني نموذجا-"، مجلة الحوار المتوسطي، مج:2، ع:1، سيدي بلعباس.
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/15857